تيد ترينر*: ملخص لمنظور الطريقة الأبسط

ترجمة: مصباح كمال**

نشر هذا المقال في موقع https://thesimplerway.info/TSW3p.htm تحت عنوان **A SUMMARY OF THE SIMPLER WAY PERSPECTIVE** بتاريخ 4 تشرين الثاني/نوفمبر 2023. يمكن الاتصال بالكاتب على العنوان التالي: tedtrainertsw@gmail.com

الوضع العالمي

لا يمكن حل المشكلات العالمية دون تغيير جذري وشامل. السبب الرئيسي للمشاكل هو **الإفراط في الاستهلاك**، أي الطلب غير المستدام على "مستويات معيشة" مادية عالية في عالم محدود الموارد. لا يمكننا الحفاظ على المستويات الحالية للإنتاج والاستهلاك واستخدام الموارد طويلًا، ولا توجد إمكانية لوصول جميع سكان العالم إلى هذه المستويات. ربما تبلغ معدلات استهلاك الفرد من الموارد في الدول الغنية حوالي عشرة أضعاف المعدلات المستدامة للجميع. ويتمتع سكان الدول الغنية بمستويات معيشة عالية فقط لأننا نأخذ أكثر بكثير من نصيبنا العادل من الموارد المتاحة ونحرم الأغلبية.

مع أن مستويات الإنتاج والاستهلاك الحالية غير مستدامة، إلا أن هذا النظام الاقتصادي يجب أن يشهد زيادةً مستمرةً في الإنتاج، أي نموًا اقتصاديًا. ولا يمكن تحقيق نظام عالمي مستدام إلا إذا انتقلنا إلى إنتاج واستهلاك أقل بكثير، وأنماط حياة أقل رفاهية، ضمن نظام اقتصادي مستقر.

خطأنا الرئيسي الثاني هو **اعتماد اقتصاد يسمح لقوى السوق ودافع الربح بتحديد مصيرنا**. فالسوق يُخصص حتمًا معظم الموارد والسلع المتاحة للأغنياء، لأنهم يستطيعون دائمًا دفع المزيد. وبالتالي، يُنتج تنمية غير مناسبة، لأنه يُطوّر في الغالب الصناعات التي تُنتج ما يحتاجه الأغنياء. يتجاهل هذا الاقتصاد احتياجات الفقراء والمجتمع والبيئة. إن النظام الاقتصادي المناسب يضمن أن تكون الحاجة، وليس الربح، هي التي تُحدد ما يجب أن يُفعل.

تكمن وراء هذه العيوب **ثقافةٌ قائمة على المنافسة والفردية والرغبة في التملك والهوس بالثروة والترف**. لا بد من تغيير القيم نحو مزيد من الاهتمام بالتعاون والمشاركة والمساعدة والرعاية والرفاهية الجماعية وعيش حياةٍ أبسط.

لا يمكن للتقدم التقني حل هذه المشاكل. فهو لا يُحدث فرقًا كافيًا في مستويات استخدام الموارد والأثر البيئي. ولا يُلغي الحاجة إلى تغيير جذري في "مستويات معيشتنا" وقيمنا واقتصادنا.

لذا، لا يمكن إصلاح هذا المجتمع الاستهلاكي الرأسمالي. فهو يعاني من عيوب جوهرية متأصلة في أسسه. ولن تحل إصلاحاته المشاكل. بل يجب استبدال بعض هياكله وأنظمته الأساسية.

البديل الذي نحتاج إلى التحول إليه

لا يمكننا تحقيق مجتمع مستدام وعادل إلا إذا قمنا بالتغيير إلى:

- أنماط حياة وأنظمة أبسط، وإنتاج واستهلاك أقل بكثير، وانشغال أقل بكثير بالرفاهية والرخاء والممتلكات والثروة.
- اقتصادات محلية صغيرة مكتفية ذاتيًا إلى حد كبير، ومستقلة إلى حد كبير عن الاقتصاد العالمي.
- طرق أكثر تعاونية وتشاركية، تمكن الناس في المجتمعات الصغيرة من السيطرة على تنميتهم الخاصة.
- اقتصاد جديد، لا يشهد أي نمو، ولا تحركه قوى الربح أو السوق، وينتج أقل بكثير من الاقتصاد الحالي، ويوفر ما يكفي لأنماط حياة مرضية للجميع.
- بعض القيم المختلفة جدًا، وخاصة الاقتصاد في الانفاق، والاكتفاء الذاتي، والعطاء، والمشاركة والتعاون، ورفض شهوة الاقتناء والامتلاك والمنافسة.

إن العيش البسيط في اقتصادات محلية مكتفية ذاتيًا إلى حد كبير يُمكّن من ترشيد استهلاك الموارد بشكل كبير. على سبيل المثل، تكلفة البيض من المتاجر الكبرى أعلى بمئة مرة تقريبًا من تكلفة البيض المُنتج في الأفنية الخلفية أو التعاونيات القروية. لا يتطلب البيض المحلي أي نقل أو مصانع أعلاف أو مواد كيميائية أو مستودعات أو تغليف أو إعلانات، إلخ. ويمكن إعادة الأسمدة إلى الحدائق المجاورة عبر هاضمات الميثان التي تُوفر الغاز. تُلغي حلقات التغذية المغلقة Closed nutrient loops

بين الحدائق والمطابخ إلى حد كبير الحاجة إلى صناعة الأسمدة. يذهب الناس إلى أعمالهم سيرًا على الأقدام أو بالدراجات.

ستتيح هذه المجتمعات جودة حياة عالية جدًا للجميع دون أن يكون هناك ما يقارب الإنتاج والاستهلاك والتصدير والاستثمار والصناعة واستغلال الموارد والضرر البيئي والعمل، إلخ، كما هو الحال الآن. ستكون هناك العديد من مصادر الرضا البديلة الغنية بخلاف الكسب المادي والاستهلاك. تخيل أنك ستضطر للذهاب إلى العمل لكسب المال يومين فقط في الأسبوع، وأن يكون لديك وقت كافٍ للفنون والحرف اليدوية والنمو الشخصي، وأن تعيش في مجتمع داعم، وأن تعيش في بيئة متنوعة ومنتجة وغنية بالترفيه، وأن يكون لديك عمل مفيد اجتماعيًا وممتع دون خوف من البطالة ... وأن تعلم أن أسلوب حياتك لا يساهم في المشاكل العالمية. لا داعي لأي تقليل في التكنولوجيا الحديثة المفيدة اجتماعيًا لتحقيق هذه الفوائد.

عملية الانتقال؟

نحن نتجه نحو انهيار عالمي كبير. المشاكل العالمية تزداد خطورة، وأنظمتنا تعجز عن توفير حياة كريمة للناس، حتى في أغنى الدول. الحكومات عاجزة عن حل المشاكل الكبرى بعقلانية ووعي؛ فالتغييرات المطلوبة ضخمة جدًا، وكثيرة جدًا، وصعبة للغاية. والحكومات والناس العاديون لا يدركون حتى أن السعي وراء النمو والرخاء اللامحدود هو السبب الرئيسي. لذا، لن يكون هناك سبيل لتجنب فترة الأزمات الكبرى القادمة.

مهمتنا هي زيادة أعداد من يدركون ضرورة العمل على الانتقال إلى أساليب مختلفة تمامًا، على أمل أن يبدأ الناس، مع تدهور الأوضاع، بتطوير أنظمة محلية تعاونية. وهذا ما يحدث الآن، لا سيما في البلدان الفقيرة حيث يُدير الملايين ظهورهم لـ"التنمية" التقليدية ويبنون ترتيباتهم البديلة الخاصة.

لا يمكن إحداث تغيير في الهياكل والأنظمة إلا بإحداث تغيير ثقافي جذري. أهم ما يمكننا فعله هو السعي لتشجيع المزيد من الناس على تبني هذا المنظور "الطريق الأبسط"، وإطلاق مبادرات محلية، مثل الحدائق المجتمعية، كوسائل تعليمية لنشر هذه الرؤية.

مع أن فرصنا في تحقيق هذا التحول الهائل قد تبدو ضئيلة للغاية في الوقت الحالي، إلا أنه يجب أن يكون هذا التحول هدفًا، وهناك ما يدعو للتفاؤل إذ يسعى الكثيرون لتحقيقه

الآن في القرى البيئية، والمدن الانتقالية، وحركات النمو السلبي Ecovillage, Transition Towns, Degrowth، وغيرها. كما أن ملايين الناس في الدول الفقيرة يبتعدون عن نهج الاستهلاك، ويبنون أنظمتهم التعاونية المحلية الخاصة.

لن ينجح التحول إلا بتبني واسع النطاق من قبل عامة الناس للرؤية والقيم الجديدة. إن الحكومات لن تُجري التغييرات اللازمة. يواجه العالم صعوبات جمة الآن، وسيدرك الناس أن حكوماتهم لن تتمكن من توفير احتياجاتهم على نحو جيد، وأن عليهم التكاتف لتنظيم أنظمة محلية مكتفية ذاتيًا وتعاونية. وهذا ما يحدث في العديد من أنظمة العالم الغني.

إن المساهمة الأهم التي يمكننا تقديمها هي نشر هذه الأفكار، من خلال التحدث عنها كلما أمكن ذلك، وتنظيم مشاريع مثل الحدائق المجتمعية لتحويلها إلى أجهزة تعليمية.■

* تيد ترينر Ted Trainer، محاضر متقاعد، كلية الخدمة الاجتماعية بجامعة نيو ساوث ويلز، استراليا.

من الشخصيات البارزة في عالم الاستدامة والحياة البديلة. وُلد عام 1941، واشتهر بدفاعه عن النمو الاقتصادي السلبي degrowth، والفوضوية البيئية، والبساطة الطوعية. من أهم مساهماته تطوير مفهوم "الطريقة الأبسط"The Simpler Way، وهو إطار عملٍ للعيش الكريم مع تقليل استهلاك الموارد بشكلٍ كبير. ألّف العديد من الكتب والمقالات التي تنتقد الاستهلاكية وتقترح بدائل مستدامة ومجتمعية. Ted Trainer - Wikipedia

** كاتب في قضايا التأمين

حقوق النشر محفوظة لشبكة الاقتصاديين العراقيين. يسمح بإعادة النشر بشرط الإشارة إلى المصدر.

http://iraqieconomists.net/ar/